

التداخل الأجناسي والبعد الهوياتي في رواية في أثر عنايات الزيات لإيمان مرسال

Genre Intertextuality and Identity Dimensions in Iman Mersal's *In the Footsteps of Enayat Al-Zayyat*"

مينّة مراح*

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2 - الجزائر -

mina.merah@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2025/09/29

تاريخ القبول: 2025/09/23

تاريخ الاستلام: 2025/06/30

ملخص:

نجحت إيمان مرسال في تحويل العمل الوثائقي إلى تجربة أدبية فريدة تمزج بين السرد الأدبي والتحقيق الواقعي. استطاعت عبر أسلوب جمالي وسردي مميز أن تجعل القارئ يشعر وكأنه يقرأ رواية ممتعة وملئية بالتشويق، رغم اعتمادها على حقائق ووثائق. يمزج النص بين السيرة الذاتية، التحقيق الصحفي، والنقد الثقافي بأسلوب يحافظ على جمال اللغة والأدب، مما يضعه في منطقة وسطى بين الأدب الخيالي وغير الخيالي.

”في أثر عنايات الزيات“ عمل يعيد تعريف الحدود بين الأدب التخيلي وغير التخيلي، حيث يقدم الوقائع بأسلوب جمالي وسردي مشوق. بينما يعتمد الأدب غير الخيالي على توثيق الحقائق وتحليلها، يقدم هذا النص سردًا أدبيًا يبرز كيف يمكن أن تكون الوثائقية تجربة جمالية بحد ذاتها.

كما أن استعمال مرسال لأجناس أدبية متعددة يعكس نيتها في الحث على بعد هوياتي متعدد يسعى المجتمع لطمسه من خلال الإقصاء. وحادثة إتلاف أرشيف عنايات وقبرها يبرز التهميش الذي طالها، بينما يعيد العمل الاعتبار لهويتها وشخصيتها المفقودة. **الكلمات المفتاحية:** التداخل الأجناسي. البعد الهوياتي. الرواية. السيرة الذاتية. السيرة الغيرية. عنايات الزيات لإيمان مرسال. الأرشيف الشخصي.

Abstract:

Iman Mersal has succeeded in turning documentary work into a unique literary experience, blending narrative storytelling with factual investigation. Her distinctive aesthetic and narrative style makes the reader feel as if they are reading an engaging novel, even though it is based on real facts. The work combines autobiography, journalistic investigation, and

* المؤلف المرسل: مينّة مراح

cultural criticism, placing it at the intersection of fiction and non-fiction. In "In the Footsteps of Enayat Al-Zayyat," Mersal redefines the boundaries between fictional and documentary literature. She presents facts in an aesthetically pleasing and compelling way, showing that documentary writing can also be an artistic experience. The author uses various literary genres to explore a multifaceted identity often denied by society.

The destruction of Enayat's archives and her grave symbolizes the marginalization she suffered.

Through this book, Mersal restores recognition to Enayat Al-Zayyat's long-forgotten identity and memory.

Keywords: Genre Intertextuality; Identity Dimension; Autobiography ; Enayat Al-Zayyat; Iman Mersal.

مقدمة:

من خلال المزج بين السيرة الذاتية والبحث الأدبي، تقدم إيمان مرسال نموذجاً لكيفية استخدام الكتابة كوسيلة للتعبير عن الذات والتأريخ النسوي، وهذا ما يجعل الكتابة بالنسبة لشاعرة وأكاديمية مثل إيمان مرسال فعلاً تحريراً. لا يمكننا أن نقول أن هذا العمل رواية بالمعنى التقليدي للكلمة، فالرواية تعتمد على الخيال وتكوين شخصيات وأحداث غير حقيقية أو متخيلة، بينما هذا الكتاب يتعامل مع شخصية حقيقية، وهي عنايات الزيات. ورغم استخدام السرد الأدبي والجمالي، إلا أن النص يتبع أحداثاً واقعية مستمدة من حياة عنايات الزيات، ما يخرجه من التصنيف الروائي.

ولا يُعتبر أيضاً سيرة ذاتية بالمعنى المباشر. لأنه يتناول سيرة عنايات الزيات، لكنه ليس سيرة ذاتية لإيمان مرسال نفسها. وذلك رغم أن مرسال تشارك تجربتها الشخصية ورحلة بحثها عن عنايات، إلا أن المحور الأساسي هو تسليط الضوء على حياة عنايات وما حدث لها في حياتها حتى أدى بها إلى الانتحار، وليست حياة الكاتبة الخاصة ولو أنها كانت تبدو أحياناً تتحدث عن نفسها من خلال عنايات الزيات.

ولعل هذا كله يجعلنا نتناول في مقالنا مسألة التداخل الأجناسي في هذا العمل العربي النسوي، وعلاقته وتداعياته على البعد الهوياتي للمرأة العربية المشتغلة بالكتابة الأدبية خاصة وأن مؤلفة العمل وموضوعها أو بطلتها كلتيهما كاتبين.

وقد تناولنا من خلال التعدد الأجناسي مختلف الأجناس التي استعملتها إيمان مرسال كالرواية والسيرة بنوعيهما الذاتية والغيرية والتحقيق الاستقصائي، والبحث التاريخي من خلال تتبع الأرشيف وفي ذاكرة الأمكنة والفضاءات.

كما أننا حاولنا أن نستشف دور هذا التعدد الأجناسي في تجلي البعد الهوياتي في هذا العمل سواء الفردي أو الجمعي. وذلك من خلال أثر كل جنس في رحلة البحث عن الهوية، تلك الهوية التي راحت مرسال تحاول في عملها أن تبرز مختلف جوانبها المنيرة منها والمعتمة.

وذلك من خلال طرح إشكالتنا وهي: كيف يبرز التعدد الأجناسي في عمل إيمان مرسال في أثر عنايات الزيات البعد الهوياتي؟

2. التعدد الأجناسي في رواية في أثر عنايات الزيات¹:

1.2 . مفهوم التعدد الأجناسي Genre Hybridity :

التعدد الأجناسي يشير إلى المزج بين أجناس أدبية أو فنية مختلفة داخل نص واحد، بحيث يتم الجمع بين عناصر متنوعة من أجناس أدبية متعددة. هذا المفهوم يعكس ديناميكية النصوص الحديثة وقدرتها على تجاوز الحدود التقليدية التي تفصل بين الأنواع الأدبية. وهو يُستخدم لتعزيز التفاعل بين النصوص، وإبراز القضايا متعددة الأبعاد التي يصعب التعبير عنها من خلال جنس واحد.

ويظهر التعدد الأجناسي في الأدب من خلال التقنيات السردية المتعددة حيث يستخدم عناصر من السيرة الذاتية، السيرة الغيرية، الشعر، الرواية، والتحليل الأكاديمي وغيرها من الأجناس الأدبية. كما يمكن للنصوص الحديثة أن تستمد عناصرها من وسائل الإعلام المختلفة، بما في ذلك الأدب، الفن البصري، والموسيقى، مما يؤدي إلى "أدب هجين" يتمتع بطابع متعدد الوسائط.

ويُستخدم التعدد الأجناسي عادة للتعبير عن التعقيد الثقافي، السياسي، والاجتماعي الذي يعكس عوالم معاصرة متعددة الأصوات. وبذلك يمكننا القول أن التعدد الأجناسي هو ظاهرة أدبية حديثة تعكس الطبيعة الديناميكية والمتشابكة لعالمنا المعاصر. من خلال دمج أجناس مختلفة، يتمكن الأدب من استكشاف قضايا مركبة وتوسيع حدود التعبير الفني.

والرواية العربية المعاصرة تعتمد على دمج عناصر من الشعر والمسرح والسيرة الذاتية، مما أدى إلى ظهور أشكال جديدة مثل المسرواية ورواية السيرة الذاتية .

وهو في رواية "في أثر عنايات الزيات" ليس مجرد اختيار أسلوب، بل هو جزء أساسي من آلية السرد. بفضل هذا المزج بين الأجناس الأدبية المختلفة، تتمكن الرواية من تقديم الهوية النسوية بطريقة متعددة الأبعاد، حيث تجمع بين الشخصي والجمعي، بين الفرد والمجتمع، وبين الماضي والحاضر، مما يجعلها نصًا متفردًا في الأدب النسوي العربي.

2.2 مظهرات التعدد الأجناسي في رواية إيمان مرسال:

في البداية علينا أن نعترف أننا كلما قرأنا "رواية" في أثر عنايات الزيات نسأل أنفسنا هل ما قرأناه رواية؟ وتكون في كل مرة الإجابة أصعب من المرات السابقة —لأنه وبكل صراحة لا يمكن قراءة هذا العمل مرة واحدة والاكتفاء بذلك. فزخم المعلومات وتداخلها وكثرة الشخصيات التي نشك أنها حقيقية أحياناً يجعلنا في كل مرة ننتهي من

قراءة هذا العمل نعود ونحاول قراءته مرة ثانية-. ولعل تساؤلنا هذا يجد إجابة له حين نعلم أن الرواية جنس لا يخضع لقوانين مضبوطة فهو كما يقول الكثير من النقاد حيث تحدثوا عن انفتاح النص الروائي وتعدد دلالاته². ولعل هذه الميزة التي يتمتع بها الخطاب الروائي بقدرته العجيبة على تضمين خطابات من أجناس متعددة هو الذي أكسب رواية إيمان مرسل هذه الجمالية التي نحن بصدد دراستها وتحليلها.

1.2.2. السيرة الذاتية: حضور الكاتبة في العمل

لقد كان لحضور الكاتبة ذاتها في النص إشارة إلى لجوئها إلى تقاليد الكتابة السير ذاتية وإن كانت هذه الإشارات في كثير من الأحيان جانبية تخدم تواتر الأحداث وتتابعها في سردية إيمان مرسل وتداعياتها الحرة وتقول في هذا الصدد: إلا أنها في بعض الأجزاء تكاد تكون أكيد مثلما لمسناه في قولها: "كلما تعمقت في قصة عنايات شعرت بأنني أكتب أيضًا عن جزء من ذاتي". أو حين قالت: "لم أستطع أن أكتب عن عنايات دون أن أكتب عن نفسي؛ كلما قرأت أعمالها، شعرت بأنها تُخاطبني، كأنني جزء من قصتها"³. وتضيف في سياق آخر:

"لم يكن البحث عن عنايات مجرد محاولة لفهمها، بل كان محاولة لفهم علاقتي بفكرة الغياب نفسها"⁴. ولعل في هذا النزر من الأمثلة تأكيد أن في أثر عنايات الزيات فيه الكثير من أثر إيمان مرسل... وتقول مرسل في سياق آخر: "عاودني نفس الإحساس الذي بدأت أشعر به منذ صيف 2015: ليلة ذهبتي وحدي لبيت أبي في العيد، خرائط هيئة المساحة، لحظة وصولي لشارع عنايات، أمسية التاون هاوس ومقابلتي لعظيمة ونادية. شعور غامر أنني "كنت هنا". هذه الجملة هي جملة عنايات، كتبتها في الرواية وفي يومياتها في سياق ما تصورته من أنه لن يكون لها أثر. كأنها وهي التي ماتت قبل أن أولد، تُعرفني بجزء من حياتي، تجعلني أراجع علاقتي بهذا المكان الذي ظلت غير مرئية فيه"⁵.

2.2.2. السيرة الغيرية: توثيق حياة عنايات الزيات.

تقول مرسل: "عندما بدأت البحث عن عنايات الزيات، لم أكن أبحث فقط عن سيرتها، بل كنت أبحث عن انعكاس لحياة مليئة بالصراعات التي لم تُرو"⁶.

اعتمدت مرسل على الحقائق المستمدة من حياة عنايات الزيات، فالشخصية حقيقية وكل ملابس حياتها وموتها موثقة رسمياً، -أو على الأقل من خلال أحاديثها مع المقربين إليها أو ماتناقلته الصحافة- كل الأماكن التي عاشت فيها عنايات الزيات أو زارتها وترددت عليها بشهادة من عرفوها والتقت بهم الكاتبة -حتى مكان دفنها- وقد استندت في ذلك إلى الوثائق الشخصية (رسائل، مسودات) والشهادات الموثقة والتحقيقات الثقافية

والاجتماعية التي قامت بها خلال السنين الست التي استغرقتها رحلة بحثها في أثر عنايات الزيات وهي تنتقل بين مصر وكندا.

3.2.2. التحقيق الصحفي: البحث في الوثائق والأرشيفات.

النص يتضمن عناصر من الكتابة الوثائقية، حيث تعتمد إيمان مرسل على مستندات وأرشيفات ورسائل شخصية وشهادات شفوية. هذا الجانب يجعل النص أقرب إلى التحقيق الصحفي أو الكتابة التاريخية. وقد استخدمت إيمان مرسل أسلوب التحقيق بشكل فريد، مما جعله ليس فقط وسيلة لجمع المعلومات، بل جزءاً إبداعياً من النص. التحقيق في هذا السياق تجاوز كونه مجرد بحث أكاديمي أو استقصاء للحقائق، ليصبح عنصراً سردياً يدفع القارئ للمشاركة في رحلة البحث ويعزز القيمة الفنية للعمل.⁷

4.2.2. هيمنة السرد الروائي في عمل إيمان مرسل

بعد استعراض كل هذه الأجناس الأدبية التي تناوبت في عمل إيمان مرسل في تعقب أثر عنايات الزيات، لابد لنا أن نعود أدراجنا ولا ننسى أن هذا العمل قد صنف في الأصل على أنه عمل روائي حبه الكتابة السردية بكل ماتحمله الرواية من جماليات، وبالرغم من التعدد الأجناسي، يحتفظ النص بجانب سردي قوي، حيث يُعيد بناء حياة عنايات الزيات عبر التخييل والربط بين الأحداث والشخصيات، مما يجعل النص يمتلك قلباً روائياً ينبض بالحياة. ونحن نرى أن الرواية تحتوي على لغة مكثفة وشاعرية أحياناً، مما يُضفي طابعاً أدبياً خاصاً. هذه الشعرية تُستخدم لتوصيل المشاعر والأفكار بطريقة تتجاوز اللغة العادية. في الأخير يمكننا أن نخلص إلى أن التعدد الأجناسي في "في أثر عنايات الزيات" ليس مجرد تنوع أسلوب، بل هو أداة أساسية تُستخدم لخدمة موضوع الرواية. هذه الديناميكية بين الأجناس الأدبية تُسهم في خلق نص استثنائي يعكس تجربة نسوية وإنسانية معقدة، تُعيد التفكير في الأدب كوسيلة لتوثيق الحياة وإعادة تشكيل التاريخ الثقافي والاجتماعي.

3.2. مكانة الأرشيف الشخصي في حفظ الذاكرة:

يقول لونيس بن علي:⁸

”تنقلت مرسل كثيراً بين أمريكا ومصر لأجل جمع معلومات عن كاتبها؛ فكانت توازن بين البحث عن تفاصيل حياتها من شهادات الذين عرفوها شخصياً، وبين البحث في أرشيفها الشخصي، مما كان متاحاً من رسائل وصور ومسودات ومقالات... إلخ. وتطور الأمر بعد ذلك إلى البحث عن قبرها المجهول، ولم تكن العملية بالسهلة.“⁹

وتشير إيمان مرسال إلى أن الأرشيف يمثل نتاج الحضارة، وهو انعكاس لوعي ثقافة معينة بذاكرتها التاريخية. إلا أنه، وللأسف، يخضع لسلطة المؤسسة التي تتحكم فيه من خلال دور الخبراء الذين يقررون ما يستحق التوثيق والبقاء وما يجب أن يُنسى، مما يبرز جانبه السلبي والمنحط.

وهي تميز بوضوح بين نوعين من الأرشيف: الأرشيف الشخصي والأرشيف المؤسسي. حيث ترى أن الأرشيف الشخصي هو مجموعة الوثائق المتعلقة بشخصية معينة، والتي تحتوي على معلومات تعكس تصوراتها واحتياجاتها ورغباتها. ومع ذلك، غالبًا ما يتم تهميش هذا النوع من الأرشيف من قبل المؤسسات التي لا تتعامل معه بجدية كافية.

في هذا السياق، يمكننا القول أنها تعمق في تحليلها لتوضح الجوانب المعقدة لهذه العلاقة بين الأرشيف، السلطة، والتهميش. وهي تقول: "جرت العادة أن يستمد الأرشيف الشخصي أهميته من إنجاز صاحبه، أو من الحضور الاجتماعي والثقافي له، بل وأحيانًا من الصراعات التي تنشأ بين من يريدون فرض سلطتهم على ما يظهر، وما يجب تغييبه من أرشيف شخص ميت. تجاهل كل ذلك وحملت بكنز يخص عنايات"¹⁰.

ترى مرسال أنه ليس أمام الكاتب، إلا التحرك على نحو فردي تجاه الأرشيف، لأجل اكتشافه وحمايته من المؤسسات ومن العائلات؛ إذ كثيرا ما تجهل المؤسسة قيمة أرشيف ما، فتهمله، وقد تجهل أصلا قيمته.¹¹ وتقول: "لا يجب أن تكون المؤسسة هي من تحدد لنا ما هو مهم وغير مهم لأنها ببساطة لا تتبنى أسئلتنا. أيضا، ليست العائلة من توجهنا لكيفية فهم حياة أحد أفرادها طبقا لتصورها عن الحياة".¹²

وكم كان تأثير إيمان مرسال كبيرا حين علمت بإتلاف العائلة لأرشيف عنايات الزيات الشخصي وتقول في هذا الصدد:

"تدمير أرشيف عنايات الشخصي، بدا لي مثل كارثة في أول الأمر، لكن غيابه جعلني أتبع أثر ما تم طمسه. جعلني أفكر أن طموحي ليس عرض حياتها في صفحات كتاب، عرض حياة شخص ميت هو مشاركة في التسطيط والتفريغ المستمر للماضي من معناه، قلت لنفسي، لا يجب أن أتكلم باسمها، لا يجب أن أقدم مسودة لحياتها، هناك لحظة تقاطع بيننا، سأجعل هذه اللحظة تعمل مثل دليل روحي وسنختلف في كل ما عداها كثيرا... لقد بدت لي قصص كل من تقاطعت حياته مع حياتها، وكأنها جزء من قصتها. أردت أن أعرفهم واحدا واحدا لأنهم مروا بحياتها"

ويمكننا أن نستنتج أن الأرشيف الشخصي لعنايات الزيات لم يكن فقط مصدرا للمعلومات، بل أداة لبناء سرد متعدد الطبقات، فالرسائل والوثائق تُظهر الصراعات الداخلية لعنايات وتعكس الزمن الذي عاشت فيه. والذكريات المكتوبة تصبح وسيلة لإعادة بناء حياة عنايات بشكل يتيح للقارئ الغوص في عالمها النفسي والاجتماعي.

لقد نجحت إيمان مرسل في تحويل عملية التحقيق إلى جزء من النص الأدبي خاصة حين حاولت أن تقدم عملية البحث كجزء من السرد، حيث يرافق القارئ الكاتبة في رحلتها. فاستطاع هذا المزج بين البحث والسرد يجعل الكتاب مزيجًا من الأدب والتحقيق الصحفي.

4.2. كتابة التاريخ الثقافي: بحث في تاريخ من همشهم التاريخ

إيمان مرسل لا تسعى إلى تقديم مجرد أحداث تاريخية، بل تستخدم التاريخ كخلفية تضيء حياة عنايات الزيات وتعكس واقعها. هذا المزج يجعل عملها ليس مجرد رحلة شخصية لاستعادة صوت عنايات، بل أيضًا نافذة على لحظة تاريخية مهمة في تطور المجتمع المصري. تقول مرسل:

"البحث في حياة عنايات الزيات كان محاولة لفهم زمنها من خلال عدسة فردية شديدة الحساسية."¹³ من خلال هذا القول نلاحظ أن رواية في أثر عنايات الزيات تحمل بين دفتيها الكثير من التاريخ، تاريخ مصر القديم والحديث، من خلال ذاكرة الأماكن والشخصيات.

يمكننا العثور كذلك على بعض الأبعاد التاريخية حيث يتقاطع السرد مع لحظات تاريخية وسياقات اجتماعية وثقافية محددة. حيث نجد آثارًا للبيئة التاريخية التي عاشت فيها، مما يجعل العمل انعكاسًا للعصر الذي شهدته مصر خلال منتصف القرن العشرين.

من جهة أخرى يمكننا العثور على مصر الخمسينيات والستينيات أي الفترة الزمنية التي عاشت فيها عنايات الزيات، وهي ، والتي كانت فترة مليئة بالتحويلات السياسية والاجتماعية في مصر فسياسيًا يمكن الحديث عن حقبة ما بعد ثورة يوليو 1952، مع تركيز النظام على التغيير الاجتماعي والاقتصادي.

أما ثقافياً فهي فترة صعود الثقافة الرسمية وتوجه الدولة نحو دعم الفن والأدب كجزء من مشروع قومي. وتناقش مرسل بشكل ضمني وضع الأدب والمؤسسة الثقافية المصرية في منتصف القرن العشرين: ومسألة الهيمنة الذكور على المجال الثقافي من خلال معالجتها لمسألة رفض نشر رواية عنايات الزيات "الحب والصمت"، وهو ما يشير إلى دور المؤسسات الثقافية في تحديد من يُسمح له بالمشاركة في المشهد الأدبي.

أما اجتماعياً فيمكننا العثور على معلومات تخص التطور الظاهري الذي عرفته المرأة من خلال شخصية نادية لطفي ودخولها عالم السينما من جهة ومعاناة عنايات مع قانون الأحوال الشخصية و مشاكل الطلاق والحضانة المححفة بالنسبة للمرأة في عالم تهيمن عليه الذكورية من جهة أخرى.

وبذلك يمكننا القول أن الرواية تقدم تصويرًا لحقبة تاريخية معينة في القاهرة خلال الستينيات، مما يجعلها تتقاطع مع كتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي، حيث تُظهر كيف كانت تلك الحقبة تؤثر على النساء.

5.2. المقابر وحفظ ما تبقى من الذاكرة

نقطة أخرى أولتها إيمان مرسل أهمية بالغة وهي المقابر. تذكر إيمان مرسل في عملها أن بداية رحلة البحث كانت من قصاصة في جريدة يوجد بها عنوان دفن عنايات الزيات. ولكم كانت هذه الرحلة شاقة بالنسبة لإيمان مرسل حيث أنها انطلاقاً من هذه المسألة استطاعت الوصول إلى عدة استنتاجات فماهي أهمية المقابر بالنسبة لمرسل ؟

تستهل إيمان مرسل سردها ببحثها عن "مدفن المرحوم رشيد باشا بالعففي"، لا تحمل سوى العنوان المكتوب في جريدة الأهرام في يناير 1967 لذكرى المرحومة عنايات الزيات. في 19 فبراير 2019 تذهب الكاتبة إلى البساتين¹⁴، لا تحمل سوى ذلك العنوان: "عندما وجدت هذه المعلومة في صفحة الوفيات، كنت واثقة أن هناك الكثير من القصص في ذاكرة من بقوا، وفي صفحات الكتب وركام الأرشيف، وما على إلا أن أتحدى بالصبر. والآن بعد سنوات من احتفاظي بصورة هذه القصاصة، وكأنها هوية عنايات الشخصية، وبعد أن توالى مكالماتي مع بولا منذ الحريف الماضي، لا أعرف من هو رشيد باشا، ولا قرابته لها. إنني حتى لا أعرف اسمه الأول، وإذا كان أصله مصرياً أم تركياً أم جركسياً"¹⁵

لقد تناولت إيمان مرسل موضوع المدافن والمقابر في "في أثر عنايات الزيات" من زاوية استكشافية وإنسانية عميقة. حيث تحدثت الكاتبة عن علاقتها بهذه الأماكن باعتبارها رموزاً للذاكرة والغياب، ولها دلالة في سياق البحث عن سيرة عنايات¹⁶.

1.5.2 زيارة المقبرة:

تتحدث مرسل عن زيارتها لقبر عنايات كجزء من رحلتها لفهم شخصيتها والتواصل مع غيابها. وتعكس الزيارة العلاقة بين الحاضر والماضي، وكيف أن القبور ليست فقط أماكن للراحة الأبدية، بل تمثل امتداداً للتاريخ الشخصي والجمعي.

وقد أظهرت الكاتبة شعوراً بالرهبة والاحترام تجاه هذه الأماكن، حيث ترتبط بفكرة الفقد والغياب، لكنها أيضاً وسيلة للتواصل مع أولئك الذين تركوا أثراً. وتظهر المقابر كأماكن تذكروا بأنفسنا وبمن حولنا، وكأنها تلخص الحياة بأكملها.

تصور مرسل نفسها وهي تتجول في هذه المقابر بسرديتها المتميزة فتقول: "حولي أحياء ينامون ويستيقظون ويأكلون ويتعاركون ويتكاثرون؛ مشهد قبيح ومؤذ، ومن الأفضل ألا يُرى، ولكنه برهان على إرادة الحياة في نفس الوقت. تتحول الدهشة تدريجياً إلى ألفة في المرور على أسماء وغرف نوم ومطابخ وطشوت غسيل مفتوحة على الشارع، في أسلاك الكهرباء المشدودة فوق الخط الكوفي وكل نفس ذاتقة الموت. يتجاور الصبار والورد الجاف وأكوام القمامة ورائحة البول والثوم الذي يُقلى في زيت.... بوتاجاز مسطح فوق مقبرة، منشتر غسيل ممدود بين شجرة وشاهد من الرخام..."¹⁷.

2.5.2 رمزية المقابر في السرد:

تتحول المقابر في سياق البحث عن عنايات، إلى مواقع تحمل رمزية مضاعفة، فهي ليست مكاناً مادياً فقط ، بل بوابة لفهم الماضي وتحسيد الغياب. فالقبر ”هو بيت الميت، وللمسلم فيه من الحرمة ما جاءت به السنة، فلا يترك عليه شيء من النجاسات بالاتفاق، ولا يوطأ ولا يداس ولا يتكأ عليه عند جمهور العلماء، فاحترام الميت في قبره بمنزلة احترامه في داره التي كان يسكنها في الدنيا، فالقبر هي ديار الموتى ومنازلهم وعليها تنزل الرحمة من ربهم والفضل على محسنهم¹⁸“. وتضيف في سياق آخر وهي تتحدث عن المقابر:

"ينبغي لمن زار المقابر أن يشتغل بتذكر حال أهلها وما هم فيه من نعيم أو عذاب ويتذكر أنه سيصير إلى ما صاروا إليه، وينبغي له الدعاء لإخوانه المسلمين فهم أحوج ما يكونون إلى ذلك¹⁹..."

3. التعدد الأجناسي وعلاقته بالبعد الهوياتي في رواية في أثر عنايات الزيات:

الربط بين التعدد الأجناسي والبعد الهوياتي في رواية "في أثر عنايات الزيات" لإيمان مرسل يمكن تفسيره من خلال الدور الذي يلعبه المزج بين الأجناس الأدبية في إبراز الهوية النسوية والإنسانية التي تسعى الرواية إلى استكشافها وإبرازها. العلاقة بينهما ليست مجرد علاقة شكلية، بل علاقة جوهرية تخدم عمق النص وأهدافه. لكننا قبل هذا سنتعرض للبعد الهوياتي في هذه الرواية.

1.3 البعد الهوياتي في رواية في أثر عنايات الزيات:

البعد الهوياتي في الرواية النسوية العربية يشير إلى الطريقة التي تعبر فيها الرواية عن الهوية الفردية والجماعية للمرأة، في ظل السياقات الثقافية والاجتماعية والسياسية. يركز هذا البعد على قضايا الهوية الخاصة بالمرأة مثل:

-الهوية الذاتية:

استكشاف الكاتبة لمفهوم الذات النسوية في مواجهة المعايير المجتمعية التقليدية. يتمثل هذا في محاولة المرأة فهم نفسها بعيداً عن الأدوار النمطية المفروضة عليها، مثل الزوجة، الأم، أو الابنة.

-الهوية الثقافية:

كيف تتفاعل الرواية مع السياقات الثقافية المحيطة، سواء من خلال نقد القيم السائدة التي تؤدي إلى تهميش المرأة، أو من خلال إعادة بناء هذه القيم لتعزيز دور المرأة.

ورواية في أثر عنايات الزيات تدخل بجدارة في سياق البعد الهوياتي في الرواية النسوية العربية، حيث تسلط الضوء على قضايا متعددة تتعلق بالهوية النسوية، الفردية والجمعية، بأسلوب عميق وشاعري. الرواية ليست فقط عن الكاتبة الراحلة عنايات الزيات، بل هي أيضاً رحلة بحث شخصية تعكس قضايا متعددة من بينها:

1.1.3. الهوية الذاتية والجمعية:

- **الهوية الفردية:** الرواية تسعى لتقصي أثر عنايات الزيات، وهي شخصية نسائية معقدة عانت من الإقصاء والنسيان. هذا البحث يعكس محاولة لإحياء قصتها ومنحها صوتاً بعد أن أُسكت.
- **الهوية الجمعية:** من خلال رحلة البحث عن حياة عنايات، تكشف الرواية عن تجارب النساء اللواتي تم تهميشهن ثقافياً وتاريخياً في المجتمعات العربية.

2.1.3. نقد الأدوار الجندرية:

الرواية تناقش القيود الاجتماعية والجندرية التي واجهتها عنايات، مثل ضغوط الزواج والخيارات المهنية المحدودة، والتي تمثل تحديات شائعة للنساء في تلك الحقبة وحتى الآن مثلما تشير إليه إيمان مرسل من خلال إحالتها لبعض المسائل الراهنة.

وتربط هذه القيود بما تواجهه النساء المعاصرات، مما يبرز استمرارية القمع المجتمعي بأشكال مختلفة.

3.1.3. استعادة التراث النسوي:

فالرواية تُعيد بناء ذاكرة نسوية عن الكاتبة عنايات الزيات، التي تم تجاهل مساهماتها. هذا جزء من مشروع أدبي يسعى لاستعادة قصص النساء اللواتي تم تهميشهن أو محوهن من السجل الثقافي.

”لم تتبع إيمان مرسل أثر عنايات الزيات فقط، بل تبعت أثر نفسها، وقفت على بعد مسافة من ذاتها (شاعرة وأكاديمية وأم وامرأة)، كما تبعت أثر نادية لطفى وأيامها، التي قالت في أحد حواراتها عما حدث لـ "عنايات الزيات" إن العالم يمضي بلا ضمير، وأثر عزيمة الزيات وعائلتها، وأثر مدام النحاس ومنطقة الدقي، وحتى الأجانب الذين جاءوا إلى مصر بمحبة فائقة عاشوا فيها وعثروا على أنفسهم وتركوا أثرهم وعلى رأسهم لودفيج كايمر.“²⁰

4.1.3. الكتابة كفعل تحرري:

من خلال المزج بين السيرة الذاتية والبحث الأدبي، تقدم إيمان مرسل نموذجاً لكيفية استخدام الكتابة كوسيلة للتعبير عن الذات والتأريخ النسوي، وهو ما يعكس البعد الهوياتي بشكل مباشر.

إيمان مرسل لا تقدم مجرد سيرة ذاتية عن عنايات الزيات، بل تحوّل البحث عنها إلى رحلة استكشاف للذات والهوية النسوية. في هذا السياق، الرواية تمثل بحثاً عن مكان المرأة داخل التاريخ الأدبي والثقافي، وإعادة قراءة هذا التاريخ من زاوية نسوية.

وذلك من خلال استحضار عنايات الزيات، التي لم تأخذ حقها في الذاكرة الثقافية، حيث تعيد مرسل طرح سؤال: من يُكتب عنه؟ ومن يُنسى؟، وهو سؤال مركزي في الأدب النسوي.

2.3 . نقد الأنظمة الاجتماعية القمعية:

الرواية تسلط الضوء على التحديات التي واجهتها النساء في القاهرة في الستينيات من القرن الماضي، مثل القيود المفروضة على حرية المرأة، الضغوط الاجتماعية للزواج والطلاق وفقدان حضانة الأبناء، وفي هذا السياق تقوا إيمان مرسل : ربما سألت عنايات عن معاني مفردات لم تفهمها في هذا الحكم القضائي، وترجمتها في ذهنها إلى الألمانية بدا لها أن لغة القانون، غير العربية التي كتبت بها روايتها أراد الأستاذ خليل أن يواسيها، لكنه لم يجد الكلمات المناسبة. هو نفسه ناقم على قانون الأحوال الشخصية، وفي عريضة الاستئناف عبر عن أفكاره كونه محامياً تقدمياً عنده موقف من القانون "تعلّمنا أن وقوف إنسان أمام القانون يعني أن لديه حقوقاً وواجبات، أنه فرد، مستقل مسؤول ويمكن أن يعاقب في قانون الأحوال الشخصية المصري المرأة ليست شخصاً، إنها من مقتنيات الزوج . ص116

إضافة إلى كل هذا تتحدث عن التهميش الثقافي الظالم والمنحاز إلى ذكورة قميئة حد القرف. وبذلك تُظهر إيمان مرسل شخصية عنايات الزيات كرمز للمرأة التي حاولت الخروج من هذه القيود عبر الكتابة والإبداع، لكنها دفعت ثمن ذلك عندما لم تجد دعماً من المجتمع. وكم كان الثمن باهضاً. لذا تحاول هذه الرواية أن تنزع عن المرأة القوالب النمطية التي غالباً ما تُصورها إما كضحية أو كامرأة خارقة. بدلاً من ذلك، تسلط الضوء على إنسانيتها بكل تعقيداتها: طموحها، خيبتها، صراعاتها النفسية والاجتماعية. وهي الرواية/إيمان مرسل تسعى لاستعادة صوت عنايات الزيات الذي خفت بسبب الإهمال والتجاهل، مما يجعلها تمثل جهداً نسوياً لإعادة الاعتبار للنساء اللواتي غاب صوتهن في السرديات الثقافية. ومن خلال هذا العمل، تقدم مرسل نقداً واضحاً للكيفية التي يتم بها تهميش النساء في الأدب والمجتمع.

3.3 . البعد الثقافي والتاريخي:

الرواية تعمل كمرآة لتاريخ القاهرة الثقافي والاجتماعي في الستينيات، مما يُظهر كيف كانت القيم الاجتماعية والسياسية تؤثر على النساء في ذلك الوقت. وقد نتساءل عن مدى إمكانية تصنيف هذه الرواية كرواية نسوية والجواب سيكون دون تردد ان نعم الرواية نسوية بامتياز، لأنها تعيد صياغة التاريخ من منظور امرأة، وتسعى لفهم العالم الداخلي لشخصية نسائية عبر تناول الأسئلة العميقة المتعلقة بالاختيارات، الحرية، والهوية. كما أنها تُظهر بوضوح كيف يمكن لامرأة أن تُمحي من السجل الثقافي بسبب الأعراف الاجتماعية، وهو موضوع جوهري في الرواية النسوية.

و بذلك يمكننا اعتبار هذا العمل "في أثر عنايات الزيات" بالفعل جزء من الأدب النسوي العربي الذي يعالج البعد الهوياتي بجرأة وإبداع، مما يجعلها نموذجاً رائداً لفهم دور المرأة في الأدب والمجتمع.

4. خاتمة:

نختتم مقالنا هذا ونحن نذكر أن التعدد الأجناسي في رواية "في أثر عنايات الزيات" ليس مجرد اختيار أسلوب، بل هو جزء أساسي من آلية السرد التي تخدم البعد الهوياتي. بفضل هذا المزج بين الأجناس الأدبية المختلفة، تتمكن الرواية من تقديم الهوية النسوية بطريقة متعددة الأبعاد، حيث تجمع بين الشخصي والجمعي، بين الفرد والمجتمع، وبين الماضي والحاضر، مما يجعلها نصاً متفرداً في الأدب النسوي العربي.

والتعدد الأجناسي في هذا العمل يتحدى الحدود التقليدية للأجناس الأدبية. تماماً كما تحاول الرواية كسر القيود المفروضة على المرأة. فيكشف السرد الروائي الجوانب العاطفية والشخصية لتجربة المرأة. ويبرز التحليل النقدي البنية الاجتماعية والثقافية التي توطر هذه التجربة. الوثائقية وتضيف الكتابة الوثائقية مصداقية وعمقاً، مما يجعل الهوية النسوية موثقة ومعبرة عن حقيقة اجتماعية. وبذلك يكون هذا الكسر للحدود بين الأجناس الأدبية عاكساً للطبيعة التمردية للهوية النسوية كما تصورها الرواية.

وأسلوب التحقيق في العمل يُظهر كيف يمكن للأدب أن يكون أداة لاكتشاف الحقائق، ليس فقط عن الآخرين ولكن أيضاً عن الذات. رحلة إيمان مرسال لفهم عنايات الزيات هي رحلة إنسانية تدمج بين البحث الوثائقي، السرد الأدبي، والتحليل الثقافي، مما يجعل الكتاب تجربة فريدة تُعيد تعريف السيرة الذاتية والتحليل الأدبي.

5-الهوامش:

¹ في أثر عنايات الزيات "هي رواية لإيمان مرسال الشاعرة والأكاديمية التي تعيش في كندا وهي رواية تجمع بين السيرة الذاتية والتحقيق الأدبي والنقد الثقافي، تسلط الرواية الضوء على حياة الكاتبة المصرية **عنايات الزيات**، التي انتحرت في ظروف غامضة خلال شبائها، وتركت خلفها رواية واحدة بعنوان "الحب والصمت". من خلال استعادة الأرشيف المفقود والبحث في تفاصيل حياتها، تستكشف مرسال قضايا الهوية، التهميش الثقافي، والذاكرة النسوية. العمل يتميز بمزجه بين الأدب غير الخيالي والخيالي، ليصبح نصاً بعيد الاعتبار للكاتبات المهمشات في التاريخ الأدبي. وعاشت صراعاً مع نظرة المجتمع المحافظ تجاه النساء، وخاصة المطلقات. كما أنها عانت من شعور عميق بالوحدة والغربة النفسية، مما ترك أثراً واضحاً على كتاباتها. كتبت روايتها الشهيرة "الحب والصمت"، التي عكست معاناتها الشخصية وقضايا المرأة والمجتمع. وعُرفت بأسلوب أدبي حساس ومتميز، يعكس قدرتها على التعبير عن المشاعر الداخلية والتجارب الحياتية بعمق. و في عام 1963، توفيت عنايات الزيات في ريعان شبائها بشكل مأساوي -منتحرة- عن عمر يناهز 27 عاماً.

² سمير دلاجي، "التداخل الأجناسي كحوار جمالي في رواية مولى الحيرة." مجلة المدونة 8.2 (2021):.

³ إيمان مرسل، في أثر عنايات الزيات، ص

⁴ نفسه

⁵ نفسه

⁶ نفسه

⁷ نفسه

⁸ لونيس بن علي "في أثر عنايات": البحث عن السيرة الغامضة لكاتبة مغمورة. مجلة نقد 21

⁹ نفسه

¹⁰ إيمان مرسل المرجع السابق ص 71

¹¹ نفسه ص 204

¹² نفسه

¹³ نفسه

¹⁴ ينظر: عزة مازن، في أثر عنايات الزيات "بين تتبع الأثر والسيرة الذاتية" <https://alketaba.com> 2020/

¹⁵ نفسه

¹⁶ نفسه

¹⁷ نفسه

¹⁸ نفسه ص 14

¹⁹ نفسه ص 17

²⁰ أحمد إبراهيم الشريف، "في أثر عنايات الزيات.. العالم يمضي بلا ضمير" <https://alketaba.com> اليوم السابع 30 نوفمبر 2019.

6. قائمة المراجع

1 إيمان مرسل، في أثر عنايات الزيات، الكتب خان للنشر، 2019

2 عنايات الزيات، الحب والصمت، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967

3 سمير دلاجي، "التداخل الأجناسي كحوار جمالي في رواية مولى الحيرة." مجلة المدونة 8.2 (2021)

4 لونيس بن علي "في أثر عنايات": البحث عن السيرة الغامضة لكاتبة مغمورة. مجلة نقد 21

5 عزة مازن، في أثر عنايات الزيات "بين تتبع الأثر والسيرة الذاتية" <https://alketaba.com> 2020/

6 أحمد إبراهيم الشريف، "في أثر عنايات الزيات.. العالم يمضي بلا ضمير" <https://alketaba.com> اليوم السابع 30 نوفمبر 2019. مؤرشف

من الأصل في 2019-11-30. اطلع عليه في 2025/01/10